منصة الإمام ابن باز التعليمية

منصة الإمام ابن باز للتعلم الشرعي المفتوح

شرح أجزاء من الأربعين النووي

للحافظ يحيى شرف النووي

شرح وتعليق

العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس هيئة كبار العلماء

الوحدة الأولى:

الدرس الأول: شرح حديث: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ).

عن عمر ﷺ أيضًا قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». رواه مسلم.

الشرح

الشيخ: الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهداه.

أما بعد: فهذا الحديث الثاني من الأربعين النووية، هذا الحديث الثاني، مضى الأول، وهذا الحديث الثاني: عن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، الخليفة الراشد الثاني، المتوفى سنة ٢٣

من الهجرة، في ذي الحجة، عن عمر رضي الله عنه أنهم كانوا جلوسًا عند النبي ﷺ في بعض الأيام، فلم يسألوا، فبعث الله جبرائيل يسأل حتى يستفيدوا ويستفيد مَن بعدهم من الأمة؛ رحمةً من الله جلَّ وعلا، فالنبي وهو جالس بين الناس ذات يومٍ إذا جاء جبرائيل في صورة إنسانٍ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من الحاضرين أحدٌ، صورة غريب، فقال: يا محمد، على عادة البادية يسألون الرؤساء بأسمائهم: يا فلان، يا محمد، يا عبد العزيز، يا معاوية، يا علي، عادة الأعراب هكذا: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، كان الأفضل أن يقول: يا رسول الله، يا نبي الله، لكن جعل طريقة البادية وأشباههم: أخبرني عن الإسلام ما هو؟ فقال له النبيُّ ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلًا، فسَّر الإسلام بأركانه.

الإسلام كثير، يعمّ جميع ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، كله يُسمَّى: إسلامًا: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران:١٩] ومعناه: الإسلام لله، الذل لله، والانقياد لله بأداء ما أمر، وترك ما نهى، هذا هو الإسلام؛ أن تُؤدي ما أمر الله، وأن تنتهي عمَّا نهى الله عنه، يعني في عموم الدين، كما قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}.

والنبي أجابه بالأصول والأركان الخمسة التي قال فيها ﷺ: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»؛ ليُعلم الناس أنَّ هذه أصول الإسلام، وهذه أركانه العظيمة، فلما أخبره بها قال: «صدقتَ!» فقال الصحابةُ: فعجبنا له: يسأله ويُصدقه؛ لأنَّ العادة أن السائل ما عنده علم كيف يُصدقه؟! السائل ما عنده علم يسأل، لكن صدَّقه ليعلم الناس أنَّ هذا هو الحق؛ لأنه سيُخبرهم أنه جبرائيل.

ثم قال: أخبرني عن الإيمان، يعني: عن أصوله، قال: «أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، هذه أصول الإيمان، وإلا فالإيمان يشمل

الدينَ كله، يشمل جميع الدِّين، يشمل الصَّلوات والزَّكوات والصيام والحج والشهادتين والجهاد وغير هذا من أوامر الله، كما يشمل ترك ما نهى الله عنه، كله يُسمَّى: إيمانًا، كما قال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة – أو قال: بضع وستون شعبة – فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

فالإيمان يشمل كلَّ ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، لكن أراد أن يُبين الأصول التي يرجع إليها الإيمان، وهي ستة: أن تؤمن بالله أنه ربك وإلهك ومعبودك الحق، وأنه الخلَّاق العليم، وأنه ذو الأسماء الحسنى، والصِّفات العُلَى، لا شبيهَ له، ولا كفء له، ولا نِدَّ له.

وملائكته؛ تؤمن بأنَّ لله ملائكةً معروفين بطاعته وتنفيذ أوامره ﷻ، خلقهم الله من النور، خُلق آدم من الطين، وخُلقت الملائكة من النور، وخُلق الشيطان من النار، كما في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «خُلِقَتِ الملائكةُ من النور، وخُلق آدم مما وُصف لكم، وخُلق الجانُّ من مارجٍ من نارٍ»، ولا يعلم عددهم إلا الله، الملائكة شيء كثير لا يعلمهم إلا الله، ألوف الملايين التي لا تُحصى، يقول النبيُّ ﷺ: يدخل البيتَ المعمور كل يوم سبعون ألف ملكٍ للتعبد فيه ثم لا يعودون إليه سائر الدهر، كم يصيرون؟

كل يوم سبعون ألف ملكٍ يدخلون البيت المعمور، وهو في السماء السابعة على وزان الكعبة في الأرض، يتعبد فيه الملائكة، كل يوم يدخله سبعون ألف ملك، يوم من أيام الدنيا، ثم لا يعودون إليه، يأتي غيرهم في كل يوم، فهذا يدل على أنه لا يحصى عددهم.

وهم في طاعة الله وتنفيذ أوامره، منهم جبرائيل السفير بين الله وبين الرسل، وهو أفضلهم، ومنهم إسرافيل الموكل بنفخ الصور، ومنهم ميكائيل الموكل بالقطر، بالمطر، ومنهم مالك خازن النار، الذي قال فيه – جلَّ وعلا –: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} [الزخرف:٧٧]، ومنهم الحفظة الموكَّلون بنا وبأعمالنا، الذين قال فيهم سبحانه: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار:١٠– ١٢]، ومنهم ملائكة

سيَّاحون في الأرض يلتمسون مجالس الذكر، فإذا أدركوها تجمَّعوا عندها، ومنهم ملائكة سيَّاحون يُبَلِّغون الرسول عن أمته الصلاة والسلام.

وكتب الله كذلك، الركن الثالث: الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء، هو أنزل كتبًا سبحانه على أنبيائه، فنُؤمن بذلك، منها التَّوراة والإنجيل والزَّبور وصحف إبراهيم وصحف موسى، ومنهم القرآن، وهو أفضلها، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ} [الحديد:٢٥]، فالله أرسل الرسل، وأنزل معهم الكتب، وأفضلها وأعظمها القرآن العظيم المنزل على محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

فعلى كل عبدٍ أن يُؤمن بكتب الله، وأنها حقٌّ، وأنَّ أفضلها وأعظمها القرآن.

هكذا الرسل، الركن الرابع: الإيمان بالرسل جميعًا من أولهم آدم إلى آخرهم محمد ﷺ، آدم رسول إلى ذُريته، وبعده نوح رسول إلى أهل الأرض، وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعدما وقع الشركُ فيهم، وآخرهم وخاتمهم وأفضلهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

فأنت تُؤمن بجميع المرسلين كلهم، تؤمن بأنَّ الله أرسل الرسل، وأنهم بلَّغوا رسالات ربهم، تؤمن بهذا، وتشهد بأنَّ الله أرسل رسلًا إلى الأرض، وأنهم بلَّغوا وأدُّوا ما عليهم، وخاتمهم محمد ﷺ.

الخامس: اليوم الآخر: تُؤمن باليوم الآخر، يعني: يوم القيامة، وأنه حقٌّ، لا بدَّ من يوم القيامة، وهي الجزاء والحساب، والجنة والنار، والحساب والميزان، والكتب والمرور على الصراط، إلى غير ذلك، تؤمن بهذا اليوم الآخر الذي بيَّنه الله في كتابه العظيم، قال تعالى: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة:١٧٧]، وقال: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩].

فهذه أصول مبينة في القرآن.

والسادس: القدر: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج:٧٠]،

وقال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد:٢٢].

فتؤمن بالقدر، وأن الله قدَّر المقادير وعلمها وأحصاها، فما يوجد شيء إلا وقد سبق بعلم الله، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»، هكذا رواه مسلم في الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو، وفي الحديث هنا -حديث جبرائيل: «وتُؤمن بالقدر خيره وشرِّه» أي: تُؤمن بأنَّ الله قدَّر الأشياء وعلمها وأحصاها وكتبها: ما يكون في الأرض، وأهل الجنة، وأهل النار، وما يكون من المصائب، وما يكون من الفتن والقتال، وغير ذلك كله مقدر، كله مضى في علم الله، تشهد أن الله قدَّر الأشياء وعلمها وكتبها سبحانه.

ومراتب القدر أربع: العلم، والكتابة، والخلق والإيجاد، والمشيئة، فالله علم كلَّ شيءٍ، وكتب كلَّ شيءٍ، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، جميع الموجودات كلها مخلوقة له ﷻ، هو الخلَّاق العليم: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد:١٦].

المرتبة الثالثة: الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذه أعلى المراتب؛ أن تعبد ربَّك كأنَّك تُشاهده، هذه درجة المشاهدة، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يعني: فتُؤمن بأنه يراك ويعلم حالك ويُشاهدك، ولا تخفى عليه خافية، حتى تكون في عبادةٍ على غاية الاستعداد والإحسان كأنَّك تُشاهد ربَّك، فإن ضعفت عن هذا فاعمل على أن ربَّك يُشاهدك، وأنك بعينه ومرآه - جلَّ وعلا - كما قال ﷻ: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء:٢١٨- ٢١٩].

فالله يرى الجميع، ولا تخفى عليه خافية ﷻ، فينبغي للمؤمن أن يستحضر هذا عند صلاته وأعماله؛ أن الله يراه حتى يُتقن عمله، حتى يجتهد في عمله لأنه بمرأى من الله؛ ولهذا صارت هذه الدَّرجة هي الدرجة العليا: الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

تمت المراتب الثلاثة: الإسلام وهي العامَّة، ثم الإيمان وهي الأخص، ثم الإحسان وهي أخص الأخص، وهي المرتبة العليا التي تخص خواص المؤمنين.

قال: أخبرني عن الساعة؟ متى تقوم الساعة، يعني: أخبرني متى تقوم الساعة؟ متى يموت الناس؟ قال له ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، يعني: ما أعلمها، وأنت ما تعلمها، كلنا ما نعلمها، الله – جلَّ وعلا – يقول: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ} [الأعراف:١٨٧].

قال: أخبرني عن أماراتها. علاماتها، قال: أن تلد الأمةُ ربَّتها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، أخبره بالعلامات العامَّة التي وقعت في عهده ﷺ وبعد عهده: أولها أن تلد الأمةُ ربَّتها، يعني: السيد يستولد رقيقته، وهذا وقع من عهد النبي ﷺ، فإن ابنه إبراهيم من وليدته، من مارية، وهي مملوكة، وهذا موجود عند العرب، ولكنه قليل، ثم كثر في الأمة، بعدما كثر الرقيقُ وقام الجهادُ كثرت الجواري التي تحمل من ساداتها.

وهكذا الحُفاة العُراة العالة، وهم العرب؛ كان يغلب عليهم أنهم حُفاة عُراة عالة، غالب العرب البادية هكذا، يغلب عليهم أنهم حُفاة عُراة عالة فقراء، حتى أكرمهم الله بهذا الدين، وصاروا ملوك الناس، وأغناهم الله بعد ذلك، صاروا رؤوس الناس، وصاروا يتطاولون في البنيان؛ يبنون البنايات العظيمة، والبيوت الكثيرة، بعدما وسَّع الله عليهم، وقد وقع هذا كله، بدأ في عهده وبعده في عهد خلفائه وبعده.

ثم انطلق ولم يعرف الناسُ هذا مَن هو؟ فقال النبي لعمر: أتدري مَن السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبرائيل أتاكم يُعلمكم دينكم يعني: لما لم تسألوا أرسله الله حتى يُعلم الناس هذه الفائدة العظيمة، وهذا الترتيب العظيم، وأن الدين مراتب ثلاثة: إسلام وإيمان وإحسان، كما بيَّنه النبي ﷺ في جوابه لجبرائيل. وفَّق الله الجميع.

الدرس الثاني: شرح حديث: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ».

عن أبي عبد الله النعمان بن بشيرٍ – رضي الله عنهما – قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» رواه البخاري ومسلم.

الشرح

الشيخ: الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله.

يقول المؤلفُ – رحمه الله –: الحديث السادس، حديث أبي عبدالله النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه: أنه سمع النبي يقول: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

هذا حديث عظيم جليل، له معانٍ عظيمة، حتى جعله بعضُ أهل العلم ربع الدين فقالوا:

عمدة الدِّين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية

اتَّقِ الشُّبهات – بدأ به.

اتَّقِ الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنيةٍ

فهو حديث عظيم، يقول ﷺ: «إنَّ الحلال بيِّن، وإنَّ الحرام بيِّن» قد بيَّنه الله، بيَّن الحلال، وبيَّن الحرام، ما أحلَّ الله لنا، وما حرَّم علينا، وما أوجب علينا، وما سمح لنا فيه وأباحه لنا ﷻ لمن تدبر القرآن والسنة، مَن تدبر عرف ذلك، وبينهما مُشتبهات تخفى على بعض الناس؛ ولهذا قال: «لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس»، لكن يعلمهنَّ الراسخون في العلم، قد تشتبه على بعض الناس، «فمَن اتَّقى الشُّبهات استبرأ لدينه وعرضه»، يعني: إذا اشتبه عليه شيء توقف حتى يظهر له الحق، ما يقدم على غير بصيرةٍ، إذا اشتبه عليه أمرٌ نظر في الأدلة حتى يتضح له الحكم، ولا يقول بغير علمٍ، هذا هو الاستبراء للدين والعرض.

«ومَن وقع في الشُّبهات» اشتبه عليه، لا يُبالي، هذا يقع في الحرام لأجل تساهله، والواجب التَّثبت حتى يتضح الحكم، «كالراعي يرعى حول الحمى» مثل: الذي معه غنم أو إبل يرعى حول الزروع – زروع الناس – هذا يُوشك أن تقع رعيته في الحمى، إذا نعس أو غفل وقعت في الحمى وأكلت زروع الناس، لكن إذا كان بعيدًا لو يغفل أو ينام أمكنه أن ينتبه، ما وصلت زروع الناس: «كالراعي يرعى حول الحمى، يُوشك أن يقع فيه» يعني: يقرب أن يقع فيه.

فالواجب على المؤمن أن يتَّقي الشبهات، وأن يحذر ويتبصر، وإذا أشكل عليه شيء لا يعجل حتى يسأل أهل العلم، أو ينظر الأدلة.

«ألا وإنَّ لكل ملك حمى»، الملوك يضعون حمى، قد يكون جائزًا، وقد يكون ممنوعًا، والحمى الجائز: الحمى للمسلمين؛ إبل الجهاد، إبل الصدقة، كما فعله النبيُّ ﷺ، أما حمى يضر الناس لا يجوز.

«ألا وإنَّ حمى الله محارمه» حمى الله في هذه الدنيا: محارمه، يجب الحذر منها: كالزنا والسرقة والربا وغير هذا مما حرَّم الله، هذه محارم الله، فكما أن الملوك لا يرضون أن يُنتهك حماهم، فهكذا الربّ وهو أعلى وأجلّ لا يرضى أن يُنتهك حماه، وهي المعاصي، يجب اجتنابها والحذر منها.

ثم بيَّن ﷺ «أنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، هذا القلب المضغة هذه متى صلحت واستقامت على خوف الله والإخلاص لله ومحبَّة الله استقامت الجوارح، وأدَّى العبدُ فرائضَ الله، واتَّقى محارم الله، ومتى خبث قلبه تساهل وركب المعاصي، وربما وقع في الشرك لعدم مبالاته.

فهذا القلب هو أساس الصلاح، متى عمره الله بالتَّقوى والإخلاص استقام الإنسانُ، ومتى كان القلبُ خبيثًا معمورًا بالشرك والمعاصي انقاد للشرِّ؛ ولهذا قال: «ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فسد الجسدُ كله، ألا وهي القلب»، هذا القلب هو أساس الصلاح والفساد.

فالواجب عليك يا عبد الله أن تعتني بقلبك، تسأل ربَّك التوفيق، قل: يا مُقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك. كان من دعاء النبي ﷺ: يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك، وهو أفضل الخلق يدعو بهذا الدعاء: اللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك، ويا مُصرف القلوب صرِّف قلبي على طاعتك، يسأل ربَّه التوفيق والثَّبات على الدين، هذا القلب يتقلب، فيسأل ربَّه يقول: اللهم ثبِّت قلبي على دينك، اللهم صرِّف قلبي على طاعتك، يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك، ويا مُصرف القلوب صرِّف قلبي على طاعتك، في سجوده، وفي آخر التحيات، وفي أوقاتٍ أخرى يجتهد في طلب صلاح القلب. وفَّق الله الجميع، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه.

الدرس الثالث: شرح حديث: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ..).

عن أبي رُقية تميم بن أوس الدَّاري رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم.

الشرح

الشيخ: الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فيقول المؤلفُ الحافظ النَّووي – رحمه الله –: الحديث السابع: عن أبي رُقية تميم بن أوس الدَّاري – أبو رُقية كُنيته – عن النبي ﷺ أنه قال: «الدِّين النَّصيحة، قال الصحابةُ: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامَّتهم».

هذا حديث عظيم جامع، فيه بيان حقّ الله، وحقّ الكتاب، وحقّ الرسول، وحقّ الأئمة، وحقّ المسلمين، ما أبقى شيئًا، وقال في روايةٍ كررها ثلاثًا: «الدين النَّصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»، معناه: يعني معظم الدين وخلاصة الدين النَّصيحة، يعني: دين الإسلام والإيمان، يعني: خلاصة الإسلام والكلمات الجامعة فيه: الدين النصيحة؛ لأنها تجمع النَّصيحة لله بتوحيده والإخلاص له، والنصيحة للرسول باتِّباعه وتحكيم شريعته، والنصيحة للقرآن باتِّباعه وتعظيمه، والنصيحة لأئمة المسلمين بالسمع والطاعة، والأمر بالمعروف، وإعانتهم في الخير، والنصيحة للمسلمين بتوجيههم إلى الخير، وتعليمهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وعدم غشِّهم في المعاملة، إلى غير ذلك، فهو جامع.

وهذا يجب على المسلمين جميعًا؛ لأن المسلمين إخوة وشيء واحد، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: ١٠]، وقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحُمهم وتعاطُفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحُمَّى»، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشدُّ بعضه بعضًا وشبَّك بين أصابعه».

فالواجب على كل مسلمٍ أن ينصح لله في توحيده والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه عن إخلاصٍ، وعن متابعةٍ، وعن صدقٍ، لا عن رياء، ولا عن سمعةٍ، ولا عن جفاءٍ، ولكن عن إيمانٍ وصدقٍ وإخلاصٍ لله؛ حتى يعبده وحده دون كلِّ ما سواه.

وهكذا مع الرسول ﷺ: ينصح في اتِّباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، والانقياد لما جاء به، وعدم تقديم آراء الرجال على قوله وسنته.

المعنى: تكون أعماله خالصةً نقيةً سليمةً في توجيه العبادة لله، وفي متابعة الرسول ﷺ، لا يكون فيها شرك، ولا تكون فيها بدعة ولا تقصير، بل يكون ناصحًا لله ولرسوله في العبادة، إخلاصًا لله، ومتابعة الرسول ﷺ.

وهكذا للقرآن: باتِّباعه وتعظيمه وتحكيمه، والحذر مما يُخالفه، الناصح للقرآن هو الذي يحكمه ويعمل بما فيه ويتعقله ويتدبره، ويحذر مُخالفته: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص:٢٩]، {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام:١٥٥]، ويقول في الرسول: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:٧]، ويقول: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [المائدة:٩٢]، ويقول - جلَّ وعلا -: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣].

فالنصيحة للرسول: اتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، وللقرآن: اتباعه وتعظيمه، والإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوقٍ، وتحكيمه مع سنة الرسول ﷺ.

أما القسم الرابع وهو النَّصيحة لولاة الأمور من الأمراء والملوك: فهذا بالتَّعاون معهم في الخير، والسمع والطاعة لهم في المعروف؛ لأنهم إذا لم يُطاعوا اختلَّ الأمنُ، وفسد الأمر ومرج؛ ولهذا قال - جلَّ وعلا -: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:٥٩]، ويقول ﷺ: على المرء السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وفي أثرةٍ عليه، ما لم يُؤمر بمعصية الله. وكان يخطب النبيُّ أصحابه ويقول: عليكم بالسمع والطاعة، والله يقول: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ} [التغابن:١٦].

فالسمع والطاعة من أهم الواجبات؛ لما فيها من التَّعاون على الخير، وتثبيت الأمن، وردع المجرم عن جرمه، وهو يشمل السلطان وأُمراءه وكلَّ مَن له أمر عليك، فعليك السمع والطاعة في المعروف: كالزوجة تسمع لزوجها في المعروف، والولد لأبيه في المعروف، والعامَّة للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في المعروف؛ لأنهم سلطان بالنسبة إليهم، فالزوج له سلطة على زوجته، والوالد له سلطة على أولاده، ومن برِّهم له أن يُطيعوه في المعروف، والآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر لهم سلطان؛ لأن السلطان جعل لهم سلطانًا، وهكذا القُضاة الشرعيون لهم سلطان بالحكم الشَّرعي.

الخامس: النصح للعامَّة: ينصح لعامَّة المسلمين في كل شيءٍ بأمرهم بالصلاة، بأمرهم بسائر المعروف، بنهيهم عن المنكر، بإرشادهم ودعوتهم إلى الخير، بتعليم الجاهل، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، بعدم غشِّهم في المعاملة، عدم خيانتهم، عدم الكذب عليهم، عدم غيبتهم، عدم النَّميمة، إلى غير هذا، ينصح لهم في كلِّ ما أمر الله به ورسوله، ويحذر أن يغشَّهم ويُؤذيهم ويضرّهم، فعليه أن يُعاملهم بالنصح، وأداء الأمانة، وبذل المعروف، وكفّ الأذى.

هذه النصيحة لعامَّة المسلمين؛ أن يُسدي إليهم المعروف، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويكفّ الأذى عنهم في أموالهم، وفي أبشارهم، وفي أعراضهم، يكون ناصحًا لهم في المال والعرض والدين والبدن، يحرص على جلب الخير إليهم، وعلى كفِّ الشرِّ عنهم؛ لأنَّ المؤمن أخو المؤمن، كما قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يكذبه، ولا يخذله»، ويقول ﷺ: «مَن غشَّنا فليس منا».

فالمسلمون يجب عليهم التَّعاون على البرِّ والتقوى، والتناصح، وأداء الأمانة، وعدم الغش، وعدم الكذب، وعدم الخيانة؛ لأنَّ المسلم أخو المسلم.

وبهذا تعلم عظم شأن هذا الحديث، وأنه حديث عظيم شامل. وفَّق الله الجميع.

الدرس الرابع: شرح حديث: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ..).

عن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما –: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». رواه البخاري ومسلم.

الشرح

بسم الله، اللهم صلِّ وسلم على رسول الله.

يقول المؤلفُ – رحمه الله –: الحديث الثامن: عن ابن عمر، ابن عمر هو عبد الله، إذا أُطلق فهو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما – يعني عنه وعن أبيه – أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». هذا يدل على أنَّ الناس يُقاتلون حتى يشهدوا هاتين الشَّهادتين ويعملوا بهما، وحتى يُقيموا الصلاة، وحتى يُؤدوا الزكاة، فإذا امتنعوا من الشَّهادتين أو من الصلاة أو من الزكاة يُقاتلون؛ ولهذا لما امتنع بعضُ الناس من الزكاة في عهد الصديق قاتلهم هو والصحابةُ حتى أدّوها.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله يعني: أن يشهدوها مع الإيمان بالمعنى: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله يعني: قولًا وعملًا يشهدوا أن لا إله إلا الله، أنه لا معبود حقّ إلا الله، ويعملوا بهذا، يخصُّوا الله بالعبادة، ويشهدوا أن محمدًا رسول الله ويتَّبعوه، ومن ذلك: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإذا فعلوا ذلك وجب الكفُّ عنهم، وعصمة دمائهم وأموالهم إلا بحقِّ الإسلام، عليهم حقوق الإسلام الباقية، يُطالبون بحقوق الإسلام: الصيام – صيام رمضان – حج

البيت، الجهاد إذا تيسر، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبرّ الوالدين، وصلة الرحم، والدعوة إلى الله، وترك المعاصي: من الزنا، وشرب المسكر، وأكل الربا، إلى غير هذا، يُطالبون بحقوق الإسلام، فإذا امتنعوا عن شيءٍ من حقوق الإسلام يُؤخَذون به: إن كان بالزنا يُقام عليهم الحدّ، بالربا يُعزر مَن تعاطى الربا ولم يتب، من صوم رمضان يُعزر حتى يصوم، إذا استطاع الحجَّ ولم يحج يُؤدب حتى يحجَّ، وهكذا يُؤخذون بحقوق الإسلام، لكن لا يُقاتلون على هذا، بل يُلزَمون بهذا الشيء، الحدود تقام، والتعزيرات الشرعية تُقام على مَن امتنع من حقٍّ عليه.

أما إذا امتنع من الشَّهادتين أو إحداهما، أو من الصلاة أو الزكاة فإنهم يُقاتلون حتى يُنيبوا إلى هذا، وحتى يعبدوا الله وحده، وحتى يُقروا للرسول بالرسالة ويتَّبعوه، وحتى يُؤدوا الصَّلوات الخمس، وحتى يُؤدوا الزكاة، فإذا كان مع المسلمين فلم يُقاتل ولكن بخل بالزكاة تُؤخذ منه جبرًا، تُؤخذ بالقوة، فإذا قاتلوا دونها قُوتلوا، كما فعل الصديقُ والصحابةُ رضي الله عنهم.

أما مَن جحد الصلاة أو جحد وجوبَ الزكاة فهذا كافر عند الجميع – عند جميع أهل العلم – إذا جحد وجوبَ الصلاة، أو جحد وجوب الزكاة، أو جحد وجوب صوم رمضان، أو جحد وجوب الحج مع الاستطاعة؛ فهذا كافر عند الجميع يُقاتَل، لكن إذا لم يجحد وجوب الصوم، ولا وجوب الحج، ولكن تكاسل؛ هذا يُؤدب حتى يصوم، وحتى يؤدي الحجَّ إذا كان مُستطيعًا، أو تكاسل عن الجهاد وهو مأمور به يُؤدَّب حتى يُجاهد إذا وجب عليه الجهاد، وهكذا إذا لم يمتنع من المعاصي يُؤدب ويُقام عليه الحدّ في المعصية التي فيها حدٌّ، يُقام عليه الحدّ حتى يمتنع؛ ولهذا قال: إلا بحقِّ الإسلام يعني: يُؤخذ بحقِّ الإسلام في البقية. وفَّق الله الجميع. ومثل هذا قوله في الحديث الآخر: «أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها» بحقِّها: الشهادة للرسول بالرسالة، ومن حقِّها أداء الصلاة، وأداء الزكاة، وهكذا، فهم يُقاتَلون إذا لم يُؤدُّوا حقَّها.

الوحدة الثانية:

الدرس الأول: شرح حديث: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ..).

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ». رواه البخاري ومسلم.

الشرح

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فهذا الحديث التاسع: يقول المؤلف – رحمه الله – أبو زكريا يحيى النووي يقول – رحمه الله –: الحديث التاسع: عن أبي هريرة ﷺ، وأبو هريرة دوسي من دوس إحدى قبائل العرب، واسمه عبد الرحمن بن صخر، هذا أصح ما قيل فيه: عبد الرحمن بن صخر الدَّوسي، وهو من المكثرين، من حُفَّاظ الصحابة المكثرين رضي الله عنه وأرضاه.

هذا حديثٌ عظيمٌ من جوامع الكلم، كلمات قليلة جامعة: «ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه» هذا يدل على أصلٍ عظيمٍ، وأنَّ ما نهى عنه الرسولُ يجب اجتنابه، وأنه محرم، الأصل في النَّهي التَّحريم، هذا هو الأصل، إلا إذا دلَّ دليلٌ على أنه للكراهة، وإلا فالأصل أنه للتَّحريم؛ لقوله ﷺ: «ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه»؛ ولقول الله سبحانه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:٧]، علينا أن ننتهي عمَّا نهانا عنه، وعلينا أن نفعل ما أمرنا به، وأن نقبل ما جاء به من تحليلٍ أو تحريمٍ، نقبله لأنَّ الله يقول: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}، ويقول سبحانه: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [النساء:٥٩]، {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء:٨٠].

فعلينا أن نجتنب ما نهى عنه، وأن نمتثل ما أمرنا به، وهذا هو الأصل؛ وجوب الامتثال للأوامر، والامتثال للنواهي، فالمنهي عنه يُترك، والمأمور به يُفعل، إلا إذا دلَّ دليلٌ على أنَّ

الأمر ليس للوجوب، أو أن النهي ليس للتحريم، بل للكراهة، وإلا فالأصل هو هذا؛ وجوب الامتثال لأوامره ونواهيه – عليه الصلاة والسلام –: ما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتُم»، يُؤدَّى المستطاع: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦].

وهكذا المحرم إذا اضطر إليه الإنسانُ يجتنب إلا عند الضَّرورة، كما قال تعالى: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام:١١٩] كالميتة للضَّرورة. وهكذا ما أمر الله به ورسوله يُؤدَّى مع الاستطاعة: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:١٦]، فإذا عجز عن الصلاة قائمًا يُصلي قاعدًا، وإذا عجز عن القعود صلَّى على جنبه، وإذا احتاج الميتة أكل منها للضَّرورة.

وهكذا إذا جاء ما يدل على أن النهي ليس للتحريم جاز، مثل: النهي عن الشرب قائمًا، ثم شرب قائمًا؛ دلَّ على أن الشرب قائمًا ليس بحرامٍ، فقط مكروه، أو تركه أفضل؛ لأنَّ الرسول ﷺ شرب قائمًا، فدلَّ على أنه ليس بمحرمٍ؛ إذ لو كان محرَّمًا ما فعله عليه الصلاة والسلام. وهكذا أمر بالقيام عند رؤية الجنازة، ثم قعد في بعض الأحيان؛ فدلَّ على أنَّ القيام لها غير واجبٍ، إن قام فهو أفضل، وإن جلس فلا بأس، ونظائر هذا.

فالحاصل أنَّ الأمر يدل على الوجوب إلا إذا دلَّ دليلٌ على الاستحباب، والنَّهي للتَّحريم إلا إذا دلَّ الدليلُ على أنه ليس للتحريم، بل للكراهة، أو ترك الأولى، والأصل في المحرمات المنع إلا للضَّرورة: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام:١١٩]، والأصل في الواجبات الامتثال إلا عند العجز: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:١٦]، صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ.

وفي التَّحذير من الاختلاف، وأن الاختلاف سببُ شرٍّ؛ فإنه أهلك مَن كان قبلنا كثرةُ مسائلهم واختلافُهم، يجب على المؤمن أن يكون حريصًا على الحقِّ، طالبًا للحقِّ، وأن يحذر كثرة المسائل التي يحصل بها التَّشويش والتباس الأمور والوسوسة، يسأل عمَّا أهمه، وعما تدعو الحاجة إليه، ويكف التَّعنت في الأسئلة التي قد تجره إلى الشبهة، أو تجره إلى الردة، أو تجره إلى

الشرك في الدين، أو تجره إلى الشحناء والعداوة بينه وبين إخوانه، بل يتحرى السؤالات التي يحتاج إليها، ويتحرى الإنصاف في سؤاله، والقصد الطيب في سؤاله، ويحذر النزاع والخلاف، وهكذا كل واحدٍ؛ فإن النزاع والخلاف بين المسلمين يُفضي إلى شرٍّ: إنما هلك مَن كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم؛ ولهذا ذمَّ الله الاختلافَ فقال: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود:١١٨- ١١٩]، فأهل الرحمة هم أهل الجماعة.

فالاختلاف يجب الحذر منه، إلا لما لا بدَّ منه عند اختلاف الاجتهاد وخفاء الدليل؛ فقد يظهر لهذا قول، ولهذا قول، لكن مع الإنصاف، ومع تحري الحق، ومع عدم الظلم في النزاع، كل يُبدي ما لديه من الأدلة الشرعية مع الإنصاف، ومع الحلم، ومع عدم سوء القول، هكذا المؤمنون إذا تنازعوا كل واحدٍ يُنصف أخاه، ويتحرى الحقَّ من دون تعنتٍ في الكلام أو سُوء أدبٍ مع أخيه، فيُفضي ذلك إلى الشَّحناء والعداوة: فإنما أهلك مَن كان قبلكم كثرةُ مسائلهم واختلافُهم على أنبيائهم. وفَّق الله الجميع.

س: ما حكم السؤال على الحوادث قبل وقوعها؟

ج: إذا كانت تُهمه ويخشى منها يسأل عنها؛ لأنَّ هذا قبل في عهد النبي ﷺ، أما الآن فاستقرت الأمور، فيسأل عمَّا يحتاج إليه، أما في عهد النبي ﷺ فنُهِيَ: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة:١٠١]، فيسكت إلا عمَّا أهمه، عمَّا وقع فيه، أما الآن فقد استقرت الشريعةُ والحمد لله، استقرت الواجبات والمحرَّمات، فإذا سأل عمَّا يخشى أن يقع فيه أو عمَّا يخفى عليه من الواجبات يقصد الحقَّ فلا بأس؛ لأنَّ الشريعة استقرت والحمد لله.

س: هل يدخل في هذا الحديث مَن يسأل عن الماء أو الفراش هو نجس أو طاهر؟

ج: إذا كان عن تعنتٍ لا يسأل، أما إذا كانت فيه شبهة يسأل، أما إذا كان ما فيه شبهة فهذا من الوسوسة، فالأرض طاهرة، والأصل في الماء الطهارة إلا ما عُلمت نجاسته، فإذا كانت هناك أسباب تدعو إلى السؤال سأل، لا بأس، من غير تعنتٍ، إذا كانت حوله نجاسة أو أشياء من الصبية الذين قد يلعبون بها، وما أشبه ذلك.

الدرس الثاني: شرح حديث: (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟! رواه مسلم.

الشرح

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله.

يقول المؤلف – رحمه الله – وهو النووي – رحمه الله –: الحديث العاشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا}، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} [البقرة:١٧٢]، ثم ذكر الرجلَ يُطيل السفر. يعني: ذكر النبيُّ الرجلَ يُطيل السفر. أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، ومشربه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك؟! رواه مسلم.

هذا الحديث العظيم يدل على أن ربنا – جلَّ وعلا – طيب لا يقبل إلا طيبًا، لا يقبل من أعمالنا إلا الطيب، فالخبيث ما يقبله، والخبيث ما كان لغيره، قد وقع فيه الشرك، أو كان على غير السنة، على غير الشريعة، يكون رديئًا، ما يُقبل، فلا يقبل إلا إذا توافر فيه شرطان:

أحدهما: أن يكون لله خالصًا.

والثاني: أن يكون للشريعة مُوافقًا.

لا بدَّ من الشرطين؛ لأنَّ العمل الصالح يشتمل على هذا: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة:٢٧٧]، العمل الصالح ما كان لله، وما كان موافقًا للشريعة، هذا العمل الصالح، هو لا يقبل إلا الطيب الذي أُريد به وجهه، ووافق شريعة نبيه عليه الصلاة والسلام، فالخبيث لا يقبله، فإذا عمل عملًا أشرك فيه غير الله بطل، أو كان بدعةً ما وافق الشرعَ بطل: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»، «مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»، {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام:٨٨]، {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر:٦٥].

فلا بدَّ أن يكون العمل طيبًا: من صلاةٍ وصومٍ وحجٍّ وصدقات، وغير ذلك، لا بدَّ أن يكون طيبًا، ولا يكون طيبًا إلا بشرطين:

أحدهما: أن يكون لله، ليس فيه رياء ولا سمعة.

الثاني: أن يكون مُوافقًا للشريعة.

وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال – جلَّ وعلا –: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون:٥١]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} [البقرة:١٧٢]، فأمر بالشكر لله والعمل الصالح، مع الأكل من الطيبات المباحة يعني.

فالواجب على المؤمن أن يتقيد بالطيبات، وهي الحلال المباحة: من أكلٍ وشربٍ وغير ذلك، وأن يُطيع الله ويُشكره على ما أعطاه من النعم، وهذا الشكر يكون بالإخلاص له، وبمتابعة رسوله، هذا هو الشكر؛ بأن يُؤدي ما أوجب الله عليه، ويدع ما حرَّم الله عليه عن نيةٍ خالصةٍ لله، هذا هو الشكر على ما رزقه من الطيبات، ومَن استعان بنعمه على معاصيه فقد أخطأ، ومَن عمل لغير وجهه فقد أخطأ، ومَن ابتدع في الدين فقد أخطأ، لا بدَّ أن يستعين

بنعمه على طاعته، الموافق لشريعته التي هي خالصة له ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ}.

الشكر لله: أداء حقِّه، وترك معصيته عن إيمانٍ به ومحبَّةٍ وإخلاصٍ، وهذا هو العمل الصالح، يُسمَّى: شكرًا، فالذي يعمل الصَّالحات لله وحده يُسمَّى: شاكرًا، إذا اتَّقى ربَّه وأدَّى ما أوجب الله عليه وترك ما حرَّم الله عليه يُسمَّى: شاكرًا، قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ:١٣]، وقال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة:١٥٢]، فشكر الله هو أداء حقِّه على الوجه الذي شرعه سبحانه وتعالى، لا شركَ فيه ولا بدعةَ.

ثم ذكر الرسولُ الرجلَ – يعني: الرجل من الرجال، الإنسان من بني آدم – يُطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، أتى بأسباب دعوة المسافر، تُرجى إجابتها، والأشعث الأغبر الفقير المضطر تُرجى إجابته: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [النمل:٦٢]، يمد يديه من أسباب الإجابة: يا رب، يا رب، الإلحاح من أسباب الإجابة، كونه يُلحُّ في الدعاء، ومع هذه الأسباب لا تُقبل دعوته، لماذا؟ لأنه يأكل الحرامَ، ويلبس الحرام، ويتغذَّى بالحرام، فدلَّ ذلك على أن التمتع بالحرام من أسباب حرمان الإجابة، يعني: التَّغذي بالحرام في أكلٍ وشربٍ ولبسٍ وغير ذلك يكون من أسباب حرمان الإجابة.

فالواجب على المؤمن أن يتَّقي الله، وأن يُراقب الله، وأن يتحرى الحلالَ في أكله وشربه وسكنه ولبسه وغير ذلك، ولو تعاطى الأسباب الأخرى ما تنفع إذا لم يستقم على ما أحلَّ الله، وعلى ترك ما حرَّم الله عليه، فقد يُحرم الإجابة بهذا، وقد يضطر ويُجاب وإن كان كافرًا، لكن كونه يتعاطى هذه الأمور من أسباب الإجابة: كونه يتحرى الحلال، يُلح في الدعاء، يجتهد في الدعاء، يُخلص لله، هذا من أسباب الإجابة، وكونه يتعاطى الحرام من أسباب حرمان الإجابة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله العافية.

الدرس الثالث: شرح حديث: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ..).

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْت مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «دَعْ مَا يُرِيبُك إلَى مَا لَا يُرِيبُك». رواه الترمذي والنَّسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». حديث حسن، رواه الترمذي وغيره وهكذا.

الشرح

يقول المؤلفُ – رحمه الله –: **الحديث الحادي عشر**: عن الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – وهو ابن فاطمة بنت الرسول ﷺ، يقال له: سبط رسول الله وريحانته، ويقال للحسن والحسين: السبطان، جاء في الحديث الصحيح: أنهما سيدا شباب أهل الجنة.

أنه سمع النبيَّ يقول ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيبُك إلَى مَا لَا يُرِيبُك»، والحسن حين مات النبيُّ كان في الثامنة، والحسين في السابعة، وهذا يدل على ذكائهما؛ كونهما حفظا بعض الأحاديث مع صغر سنِّهما يدل على ذكاءٍ كبيرٍ جيدٍ رضي الله عنهما.

يقول ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيبُك إلَى مَا لَا يُرِيبُك»، ويجوز الرفع: يريبك إلى ما لا يريبك، رابه يريبه، ثلاثي، "يريبه" بفتح الياء، وتُضم الياء؛ لأنه من أرابه يُريبه من الرباعي، يعني: دع الذي تشك فيه إلى الشيء الواضح الذي ليس فيه شك، وهذا معنى الحديث الصحيح: حديث

النعمان بن بشير: «مَن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» الذي تقدم لكم في الحديث السادس: «مَن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

فإذا حصل عندك أمران:

أحدهما واضح حلّه.

والآخر فيه شبهة، فاترك الذي فيه الشبهة احتياطًا، واعمل بالواضح الذي ليس فيه شبهة من مالٍ أو لباسٍ أو صحبةٍ أو غير ذلك: دع ما يريبك أو كلمات، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك كلمة جامعة من جوامع الكلم، فالشيء الذي فيه شبهة تخشى أن يكون حرامًا دعه، واستعمل الواضح الذي ما فيه شبهة، سواء مأكل أو مشرب أو لباس أو كلام أو غير ذلك، وهذا يُعتبر من جوامع الكلم؛ ولهذا ذكره المؤلفُ في الأربعين.

والحديث الثاني عشر:

يقول ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، من حُسن إسلامه – يعني: وإيمانه – اجتناب ما لا يعنيه، ما لا يهمه ولا تتعلق به مصلحته، هذا من حسن إسلام المرء؛ لا يدخل فيما لا يعنيه، يشتغل بما يعنيه، أما الذي لا يعنيه ولا يتعلق بمصلحته فلا يليق به الدخول فيه، بل يكف عنه؛ فلا يدخل في مال فلانٍ، أو أيش عند فلانٍ، أو أيش ماله من أصحابه بغير حاجةٍ، بل يعتني بما يعنيه، ويكفيه ما يعنيه في ماله، في أولاده، في بيعه وشرائه، ويكفيه عمَّا لا يهمه فيها شغل شاغل، فمن حُسن إسلامه وكمال إسلامه وكمال إيمانه أن يشتغل بما يعنيه دون ما لا يعنيه، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية

اتَّقِ الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنيَّه

دع ما لا يعنيك، من هذا الحديث: اتَّقِ الشُّبهات، حديث: دع ما يريبك وحديث النعمان أيضًا.

فمن كمال الإيمان ومن حُسن الإسلام أن الإنسان لا يُدخل نفسَه في شيءٍ ما له تعلق به، ولا مصلحة فيه، بل يكفيه ما يتعلق بمصلحته ومنفعته، وأما الشيء الذي ما له فيه مصلحة ولا منفعة يترك الدخول فيه، يكون عبثًا. وفَّق الله الجميع.